

الكشاف

المصيبة في الأرض : نحو الجذب وآفات الزروع والثمار . وفي الأنفس : نحو الأدواء والموت " في كتاب " في اللوح " من قبل أن نبرأها " يعني الأنفس أو المصائب " إن ذلك " إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب " على اﻻ يسير " وإن كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال : " لكيلا تأسوا... " " ولا تفرحوا " يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مكتوب عند اﻻ قل أساكم على الفئات وفرحكم على الآتي ؛ لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة : لم يتفاقم جزرعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال : لم يعظم فرحه عند نيئه " واﻻ لا يحب كل مختال فخور " لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه : اختال وافتخر به وتكبر على الناس . قرئ : " بما آتاكم " وأتاكم من الإيتاء والأتيان . وفي قراءة ابن مسعود " بما أوتيتم " فإن قلت : فلا أحد يملك نفسه - عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها - أن لا يحزن ولا يفرح . قلت : المراد : الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر اﻻ ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر ؛ فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة اﻻ والاعتداد بها مع الشكر : فلا بأس بهما " الذين يبخلون " بدل من قوله : " كل مختال فخور " كأنه قال : لا يحب الذين يبخلون يريد : الذين يفرحون بالفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحيمهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم : يزوونه عن حقوق اﻻ ويبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الإمساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته " ومن يتول " عن أوامر اﻻ ونواهيها ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفئات والفرح بالآتي : فإن اﻻ غني عنه . وقرئ : " بالبخل " وقرأ نافع : " فإن اﻻ الغني " وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك .

" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم اﻻ من ينصره ورسله بالغيب إن اﻻ قوي عزيز . " " لقد أرسلنا رسلنا " يعني الملائكة إلى الأنبياء " بالبينات " بالحجج والمعجزات " وأنزلنا معهم الكتاب " أي الوحي " والميزان " روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال : مر قومك يزنوا به " وأنزلنا الحديد " قيل : نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد : السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة . وروي : ومعه المر والمسحاة . وعن النبي A : 1132 : " إن اﻻ تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى

الأرض : أنزل الحديد والنار والماء والملح . وعن الحسن " وأنزلنا الحديد " : خلقناه
كقوله تعالى : " وأنزل لكم من الأنعام " الزمر : 60 وذلك أن أوامره تنزل من السماء
وقضايه وأحكامه " فيه بأس شديد " وهو القتال به " ومنافع للناس " في مصالحهم ومعاشهم
وصنائعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها ؛ أو ما يعمل بالحديد " وليعلم أن من ينصره
ورسله " باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين " بالغيب " غائب
عنهم قال ابن عباسBهما : ينصرونه ولا يبصرونه " إن الله قوي عزيز " غني بقدرته وعزته في
إهلاك من يريد هلاكه عنهم وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى
الثواب .

" ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم
فاسقون . " " والكتاب " والوحي . وعن ابن عباس : الخط بالقلم يقال : كتب كتابا وكتابة
" فمنهم " فمن الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين . وهذا
تفصيل لحالهم أي : فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق .
" ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وأتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما
رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون . "